

مسرحية "الرجل صاحب النعل المطاطي" لكاتب ياسين قراءة في طابعها الوثائقي التسجيلي

The play of "the man with the rubber sole" of Kateb Yaçine Read in its documentary character

كمال علوات

k.alaouat@univ-bouira.dz

جامعة العقيد أكلي محند أولحاج - البويرة/ الجزائر

تاريخ النشر: 2022/01/23

تاريخ القبول: 2022/01/10

تاريخ الاستلام: 2021/11/22

ABSTRACT:

ملخص البحث

The research tries to highlight the experience of the Algerian writer "Kateb Yaçine" through his model, which belongs to the direction of documentary theater, in which the writer tries to document the Algerian revolution by bringing down sociological on the Algerian reality after the liberation revolution from the perspective of similar to the Vietnamese Revolution, and from the perspective of keeping pace with modern and experimental global theatrical stereotypes.

Keywords: Kateb Yaçine, Documentary Theatre, Documentation, Experimentation, Editorial Revolution.

يحاول البحث تسليط الضوء على تجربة الكاتب الجزائري "كاتب ياسين" من خلال نموذجته الذي ينتمي الى اتجاه المسرح الوثائقي وفيه يحاول الكاتب التوثيق للثورة الجزائرية عبر اسقاط سوسيولوجي على الواقع الجزائري بعد الثورة التحريرية من منظور المشابهة بنظيرتها الثورة الفيتنامية، ومن منظور مساهمة القوالب المسرحية العالمية الحديثة والتجريبية.

الكلمات المفتاحية: كاتب ياسين، المسرح الوثائقي، التوثيق، التجريب الثورة التحريرية.

1. مقدمة:

لطالما حاول المسرح الجزائري مسايرة أطر اتجاهات الكتابة الدرامية العالمية، خاصة بعد الثورة التحريرية المجيدة، أراد الكاتب المسرحي الجزائري "كاتب ياسين" أن يضيف إلى رصيده الدرامي المتنوع - فضلا عن مسرحياته في الاتجاه المسرحي الملحمي- تجربة عالمية أخرى تمثلت في المسرح الوثائقي التسجيلي وكانت غايته الكبرى توطيد العلاقة بين المسرح والقضية الجزائرية وبالتالي يصبح المسرح وسيلة لتوثيق الثورة.

من هنا تأتي قراءتنا لمسرحيته "الرجل صاحب النعل المطاطي" كون انتمائها لهذا الاتجاه المسرحي العالمي، للكشف عن مدى قدرة الكاتب في إسقاط الواقع على الفن المسرحي؟ وكذا مدى استحضاره للبعد الثوري في المسرح الجزائري كرسالة ومساهمة منه للتشهير بالقضية الجزائرية خاصة بعد ربطه بين القضية الجزائرية بالثورة الفيتنامية وهنا يكمن الهدف من البحث.

2. المسرح الوثائقي

قبيل العصر الحديث استطاع رواد الدراما الحديثة أن يقلبوا الموازين نحو كل ما هو جديد ومنافي لكل ما هو قديم وتقليدي، بعد ما شنوا حربا شرسة على كل البنى الفنية الخاصة بالمسرح الأرسطي، فلم يعد المجال لنظرية المحاكاة ولا للموضوعات الفردية والنفسية وكذا العناصر البناء الفنية الثابتة الخاصة بالتيار المسرحي التقليدي، وبعد الاحتكاك المستمر والعميق بقضايا الإنسان الحديثة وعلاقاته الاجتماعية والسياسية ومن ثم كيان الفرد السوسيو-ثقافي أصبح "الاهتمام بتصوير أحوال المجتمع الإنساني والعلاقة بين طبقاته والكشف عن الاستغلال والقهر اللذين تعيش في قيودهما بعض الشعوب والطبقات، مستهدفين من وراء ذلك أن يسهموا في خلق وعي قومي وإنساني عام بتلك القضايا"¹ يدفع بالمجتمع الإنساني إلى الماضي قدما نحو حياة أفضل ومستقبل تسوده الديمقراطية والأمل.

وقد توال ظهور التيارات المسرحية الجديدة في مطلع القرن العشرين مستعرضة البدائل الفنية الأخرى، فبعدما تعدى بيسكاتور على الأسلوب المسرحي الكلاسيكي حيث كان لزاما عليه فرض أسلوبه السياسي الذي يتناسب مع طبيعة الأوضاع الاجتماعية الجديدة وفي ظل التوجه الإيديولوجي المناقض لرغبة الجماهير العريضة في ألمانيا وأوروبا على العموم، ثم تبعه الرائد الألماني بريشت الذي بدوره وضع أسس المسرح البديل وصاغ نظريته في المسرح الملحمي والتعليقي، الذي تولد من رحم الفلسفة الماركسية وتربى في أحضان مسرح بيسكاتور السياسي، هذا الأخير الذي مهد الطريق نحو ولادة اتجاه مسرحي ارتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ الحديث الخاص بالتناقضات السياسية والاجتماعية التي عاشها ليس فقط بيسكاتور وبريشت بل وأيضا رائد المسرح الوثائقي الألماني بيتر فايس Peter Weiss.

تتوقف الدراسة حول هذه المسرحية على بعض الجوانب الفنية التي سيسعى البحث فيها إلى الإيجاز نظرا لطول المسرحية وكثافة مادتها الوثائقية وكذلك تشابك أحداثها وصعوبة لغتها*، حيث من المعلوم أنها تنتمي إلى الأدب المسرحي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، والمسرحية كتبت في سنة 1970، وطبعت لأول مرة في فرنسا سنة 1977، بمطبعة «أوبين Imprieries Aubin» وجاء عنوانها باللغة الفرنسية كما كتبها كاتب ياسين بـ: «L'homme aux sandales de caoutchouc»، غير أن النص الذي سنتعامل معه أثناء الدراسة مترجم إلى الدارجة الجزائرية من طرف الفنان المسرحي الجزائري «محمد بن قطاف» وقام بنشره المسرح الوطني الجزائري، وقبل البدء بدراسة المسرحية لابد من التفاتة وجيزة عن سيرة «كاتب ياسين» رائد المسرح الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.

3. كاتب ياسين (1929-1989م)

ولد كاتب ياسين في قسنطينة في 6 أوت 1929، تعلم القرآن في المدارس القرآنية والتحق بثانوية سطيف، حياته مليئة بالمآسي والصعاب كونه ذو شخصية متمردة شواقة لأن تعيش مستنشقة لأكسجين الحرية، سلاحه المواجهة والنضال والاندفاع نحو مفاهيم التحرر، غير أن واقعه يتناقض مع روحه ومبادئه فقد دخل السجن وعمره لا يتجاوز 16 سنة بعدما شارك في مظاهرات الثامن من ماي 1945²، وهذا ما أثر في نفسية كاتب ياسين³، فأقبل بإلحاح شديد إلى ميادين الصحافة والكتابة الأدبية والمسرحية، وأول ما عمل في جريدة الجزائر الجمهورية، ثم انتقل منشغلا بالكتابة الأدبية بأجناسها المختلفة من شعر ورواية ومسرحية، وظل مبدعا ومناضلا إلى أن وافته المنية بمدينة غرونوبل Grenoble بفرنسا في 28 أكتوبر 1989م.

وبخصوص إنتاجه الأدبي الهائل والقيم الذي وصل إلى الصدارة وأخذ موقعه في الريبورتوار العالمي، وأول ما بدأ به نشره لمجموعته الشعرية «مناجاة» ثم روايته الشهيرة «نجمة» بالإضافة إلى رصيد واف من المسرحيات كل هذه الأعمال جمعها مؤخرا في كتابه المعنون بـ«أعمال في شذرات Kateb Yacine: L'œuvres en fragments» نشرته المكتبة العربية سندباد في باريس ويتألف من 466 صفحة وينقسم إلى ثلاثة أجزاء: الشعر، القصة، المسرح. وقد جمعت هذه الشذرات جاكين أرنو التي كانت قد أعدت رسالة دكتوراه عن كاتب ياسين ناقشتها بجامعة باريس في 1978 وكانت النصوص التي جمعت في هذا الكتاب مبعثرة في مجلات فرنسية وتونسية وجزائرية، كما كان بعضها حبيسا في مخطوط من ألف صفحة استخدمه كاتب ياسين منذ أوائل الستينات، كمادة خام لرواية «المضلع الكوكبي» (باريس 1966) ومسرحية «المرأة المتوحشة» وهي مسرحية أخرجها جان مارسيرو ومثلت في باريس في 1962-1963، ومسرحيات أخرى ألفها كاتب ياسين باللهجة الجزائرية العامية ومثلت في الجزائر منذ 1971⁴، أما باقي الأعمال المسرحية فشملت توجها ثوريا ونضاليا وأخرى وثائقية تسجيلية (الجنة المطوقة (1954)،، مسحوق الذكاء (غبرة الفهامة)، الأجداد يزدادون

ضراوة، محمد خذ حقيبتك، فلسطين المخدوعة، دائرة الضغط) ومن أواخر أعماله المسرحية "الرجل صاحب النعل المطاطي" سنة 1970م.

4. مضمون المسرحية

تعد مسرحية "الرجل صاحب النعل المطاطي" من أضخم الأعمال التي كرس فيها كاتب ياسين معظم وقته في إعداد مادتها الوثائقية التي استغرقت ثلاث سنوات متتالية، ولقد كانت هنالك مجموعة من المعطيات الاجتماعية والسياسية والنفسية هيأت المناخ اللازم والملائم لكاتب ياسين ففجر فيها قنبلته معلنة الشرارة الثورية في شخصيته المتمردة على كل مظاهر الاستعمار والاستبداد والطغيان التي عرفتها البشرية، وموضوع المسرحية يقوم على استحضار وثائقي موضوعي وشفاف سجل فيه سيناريو الثور الفيتنامية ضد أكبر القوى الاستعمارية على وجه المعمورة (أمريكا وفرنسا) التي تحالفت على حساب البلدان الضعيفة فاستعبدتها لزمان طال أمده.

قدم كاتب ياسين مسرحيته في إطار وثائقي تسجيلي استعرض فيها "صراعا دراميا تتداخل فيه الأحداث والشخصيات وتتفاعل مع بعضها البعض، في موضوع عام هو الثورة الفيتنامية"⁵ أو الهند الصينية، وللحديث عن موضوعها يجدر الوقوف على ما سجلته النسخة الأصلية للنص المسرحي باللغة الفرنسية في الواجهة الأخيرة من الكتاب:

"في حوالي ثلاثة عشر فصلا دراميا التي جاءت غالبا متلاحمة ومتداخلة، يهاجم كاتب ياسين من خلالها، وعلى بعد أميال متنوعة من حرب الفيتنام، وفيها يصور الشخصيات، الفرنسية، الفيتنامية، الفيتكونك Vietcongs والأمريكية وجها لوجه. ومن وجهة رمزية يقحم الكاتب اجتماعات ومعارك أخرى منها حرب العصابات في أميركا الجنوبية، والنضال العنصري في أميركا الشمالية، والصراع العربي الإسرائيلي.

كل فصل من المسرحية يتكون من مقاطع قصيرة تتخللها حوارات الكورس بحيث تشكل مرحلة نحو التحرر"⁶، من هذا المنطلق يظهر أن كاتب ياسين كان ملما بأهم الأحداث المرتبطة بالثورة الفيتنامية التي انتهت بأكبر معركة انتصرت فيها الشعوب المستضعفة وهي معركة "بيان بيان فو" بقيادة "هوشي منه" هذه الشخصية الرئيسية التي توقفت عليها أحداث المسرحية كنموذج بطولي ونضالي:

"العم هو* : (وحده)

ستكون حرب بين نمروفييل

لو كان النمريحبس

الفيل يقدر بنيابه"⁷

يقدم كاتب ياسين توضيحا مركزا حول القضية التي تعالجها مسرحيته هذه في حوار طويل أجراه «سعد الله ونوس» في كتابه «بيانات لمسرح عربي جديد» مع مؤلف المسرحية حيث يقول: "هذه المسرحية هي لوحة تاريخية عما حدث ويحدث في الفيتنام. وكنت أفكر خلال كتابتها، أن أي فلاح يعرف، ولو بوعي غزيري، أن الفيتناميين معهم حق، ويحاربون من أجل قضية عادلة. وإذن، بما أني لا أكتب كي تقدّم مسرحيتي أمام عدة مئات من بورجوازيي باريس، فإن المهم، بالنسبة لي، أن أجعل المسرحية مرافعة دفاع لإقناع المتفرجين بعدالة القضية الفيتنامية، بل أن أصور فيها كيف يتم نضال الفيتناميين، على يد من؟ وبأية ظروف؟..أو بتعبير آخر، كان المهم بالنسبة لي أن أقدم نموذجا عن إمكانية النضال، وكيفيته."⁸

استهل الكاتب الفصل الأول من المسرحية بمشهد يدور بين مجموعة من الفلاحين مسلحين مع أحد الأسياد مبعوث الإمبراطور الصيني الذي يريد شراء الأرز من الفلاحين، ويقدم الكاتب من خلال هذا المشهد صور النظام الاقطاعي الذي يستحوذ على كل ثروات الشعب الفيتنامي بدون أي جهد وكد وهو وجه آخر من الاستعباد والظلم، الأمر الذي يبدي سخط الفتاة التي كانت تبكي على قبر زوجها المقتول في الحرب وتصرخ في وجه الاقطاعي قائلة:

"ترنق تراك : (وهي قائمة) أقتلوا بلا رحمة

الخونه الملاكين

بدمك تغذى

أرض الفيتنام

هكذا كان يا زوجي

أكبر مرادك"⁹

ثم ينتقل الكاتب إلى مشهد آخر يقدم فيه مظهرا آخر من مظاهر الاستغلال لكن هذه المرة من وجهة عقائدية تتمثل في محاولات لنشر المسيحية في أوساط المجتمع الفيتنامي البسيط، سياسة انتهجها المستعمر الفرنسي في كل البلدان التي استعمرها خاصة الجزائر، ويتجسد هذا الموقف في شخصين هما "الراهب وماريوس" اللذان يسعيان نحو تحقيق أطماعهما على حساب الشعب بفرض السيطرة على ممتلكات الفلاحين البسطاء:

"الراهب: (وحده) هذا القطيع ما معاه فهامة

(يدخل ماريوس على رأسه الكاسك، متبوع بخديم صغير حامل صندوق البعثة)

ماريوس: رانا أخيرا في بلاد النعيم

واين تنبت كل الفواكه

في جنة الدنيا

واين كل مسيحي سيد

اللي عنده السماء في صنادقه"¹⁰

ثم يتعرض كاتب ياسين إلى الجرائم والمجازر التي ارتكبتها المستعمر الفرنسي والأمريكي في حق الشعب الفيتنامي الذي لا يعرف ميادين الحرب، في مشهد بشع يوثق له الكاتب على لسان الضابط "بيارلوتي"، ثم عالج جانبا من السياسة الفرنسية المتمثلة في التجنيد الإجباري للأفارقة بما فيهم الجزائريين ونقلهم على السفن إلى أرض الفيتنام من تدعيم معسكراتها.

يوسع كاتب ياسين في مشاهد متنوعة بين الأحداث الرئيسية ويربطها بأحداث ثانوية أبرزها المشهد الذي يأتي في اللوحة الثانية يتناول فيها مسألة نقص الأرز في الفيتنام بعد احتكار اليابانيين والفرنسيين للمنتوج، فتدخل شخصية الجنرال الياباني "جياب" لحشد الأهالي وشن هجوم على مخازن الأرز لفك الحصار عنهم:

"كورس: الغلة ساقطة هذا العام

كوريفي: فرنسيون وبيان

خزنوكل الروز

كورس: مخازنهم مليانة للقم

جنرال جياب: نأخذوهم بهجوم"¹¹

تستمر الأحداث في المسرحية في خط تصاعدي يصف فيها الكاتب معاناة الشعب الفيتنامي الصامد ضد هذه القوى التي تسعى بكل ما تملك من وسائل الدمار إلى إخضاع الفيتنام لحكمها أو تدميرها، لكن حماس النضال والكفاح أصبح ينضج شيئا فشيئا في أوساط الشعب الفيتنامي، خاصة عندما تظهر شخصية "هوشي منه" النموذج الذي تربى في أكناف التعذيب والسجن، لكن هذا كله مهد له الطريق نحو تبني الثورة الفيتنامية التي انتصرت سنة 1954م، هذه الشخصية التي عبر عنها كاتب ياسين قائلا: "إنه الرجل الفيتنامي الحق الذي تتجسد فيه ملامح الجيل الحالي، ويوجد الكثير منه"¹².

5. البناء الوثائقي للأحداث

ليس من الأمر اليسير أن يخوض كاتب المسرح الوثائقي تجربة التوثيق وجمع المادة التي تتطلبها المسرحية، نظرا لكون المسرح الوثائقي يقوم على استقرار الحقائق التاريخية من الأرشيف، إن مهمة الكاتب المسرحي الوثائقي مزدوجة ومعقدة، تجمع بين عملية الانتقاء والمعالجة الموضوعية للحقائق وللمؤلف جانب من الحرية في "الانتقاء والتنسيق والصياغة وتكثيف المادة"¹³، وبين عملية نهائية تتمثل في إخضاع المادة المعالجة للخيال الفني لأن استخدام الوثائق في صياغة أحداث الدراما الوثائقية لا يطمس كليا عنصر الخيال (Fiction) على حد قول جاك د. زيبس (Jack D. Zipes) "من المستحيل تصنيف أي دراماتي على أنه تسجيلي محض"¹⁴ والعملية تشترط أن لا يؤثر هذا على المادة الأولية التي تشمل الوثائق.

وإذا عدنا إلى كاتب ياسين للحديث عن مصدر أحداث مسرحيته هذه، فيقدم المراحل التي خاضها عند صياغته لهذا العمل الضخم حيث يقول:

"آنذاك كنت أعمل في صحيفة «المحرر». وفي قسم الأخبار الخارجية. وبحكم عملي كنت شديد الاهتمام بأخبار الفيتنام. أتابعها وأسجل ملاحظات عن معاركها... ففهمتها بؤادر الحركة التي يتهيا لها شعبنا. وفكرت في كتابة مسرحية عن الفيتنام...

أمضيت ثلاث سنوات في كتابة مسرحيتي الجديدة «الرجل ذو الصندل المطاطي»، ذهبت مرتين إلى الفيتنام، وانكببت أياما وليالي على الوثائق، الحية منها والمكتوبة... وبعض هذه الوثائق يفوق صور التخيل أو الإبداع، لكن المشكلة هي أن تعالج الوثيقة، وأن تعرف كيف تنمها، وتفيد منها في عملك... كتبت حوالي 2000 صفحة فولسكاب حتى أخرجت منها هذه الصفحات القليلة، التي لا يحتاج تمثيلها لأكثر من أربع ساعات"¹⁵، لكن بعد هذا العناء الفني الذي خاضه كاتب ياسين إلا أنه لم يكن مقتنعا أكثر بالعمل الذي يقدمه، لأنه يحس أن القضية المتناولة هي أكبر من أن تحصر في 280 صفحة، وأوسع من أن تقيد في ركح المسرح ويواصل كاتب ياسين "ومازلت غير راض. أشعر أن هناك لوحات أقل غنى وحرارة من الواقع الحي نفسه. اللوحة التي تصور مثلا معركة «ديان بيان فو» لا تعجبني كثيرا. إن الكلمات أقل التهايا من عظمة المعركة.. وأقل تأججا من إحساسي الداخلي نفسه"¹⁶.

ما دام العنصر يقضي باستبيان مصادر التوثيق في المسرحية، فلا بد من الاستعانة بالنسخة الأصلية المدونة باللغة الفرنسية التي قدمت في هوامشها أهم المصادر التي تشمل مختلف الدراسات التاريخية الخاصة بالثورة الفيتنامية، ونورد بعض التصريحات التي قدمتها بعض الشخصيات التاريخية في المسرحية، وفي مايلي أهم الدراسات والمصادر الأجنبية التي اعتمد عليها كاتب ياسين:

- *Chinh Phu Ngâm, par Dang Trân Côn, Hanoi.*

- *La Geste française en Indochine*, par Georges Taboulet, Maisonneuve. (الحركة الفرنسية في الفيتنام، لجورج تابوليت)
- *Carnet de prison*, par Ho Chi-Minh, Hanoï. (دفتر السجن، لهوشي منه)
- *Souvenirs sur Ho Chi-Minh*, Hanoï. (مذكرات عن هوشي منه)
- *Contribution à l'histoire de la Nation vietnamienne*, par Jean Chesnaux, Editions sociales (مدخل إلى تاريخ الفيتنام، لجون شيسنو)
- *La Guerre d'Indochine*, par Lucien Bodard, N.R.F. (الحرب الهند الصينية، للوسيانبودارد)
- *Etudes vietnamiennes, périodique*, Hanoï. (دراسات فيتنامية، دورية، لهانوي)
- *La Bataille de Dien Bien-Phu*, par Jules Roy, éd. Julliard. (معركة ديان بيان فو، لجولس روي، مطبعة جوليارد)
- *Récits sur Dien Bien-Phu*, par Tran Do, Hanoï. (حكايات عن ديان بيان فو، لتران دو)
- *Guerre du peuple, Armée du peuple*, par Vo Nguyen Giap, Hanoï. (جيش شعب، لفونقوين جياب)
- *La Dernière Hauteur*, par Huu Mai, Hanoï. (آخر ارتفاع، لهوو ماي)
- *Lettres du Sud-Viet-nam*, Hanoï. (رسائل من جنوب الفيتنام)
- *Les deux Guerres de Viet-nam*, par Georges Chaffard, éd. De la table ronde. (الحربان الفيتناميتان، لجورج شافارد)
- *Le Viêt-Nam d'aujourd'hui*, Hanoï. (الفيتنام اليوم)
- *Face à Ho Chi-Minh*, par Jean Sainteny, éd. Seghers. (وجهها لوجه مع هوشي منه، لجون سانتني)
- *Ho Chi-Minh*, par Jean Lacouture, éd. du seuil.¹⁷ (هوشي منه، لجون لاكوتور)

هذه هي أهم المصادر والدراسات التاريخية التي بنى بها كاتب ياسين أحداث مسرحيته "الرجل صاحب النعل المطاطي"، وعملا على تغذية أحداث المسرحية بالوثائق والحقائق عمد كاتب ياسين إلى إقحام بعض الحوارات التي جاءت بصيغة سردية وصفية وجدها الكاتب في مقالات لبعض الصحف الفرنسية المشهورة آنذاك مثل الوصف الذي قدمه ضابط البحرية الفرنسية «بيارلوتي Pierre Loti» حول المجزرة التي اقترفوها في حق الجنود الفيتنام، وجاء هذا الوصف بشكل استطلاع أو ريبورتاج أعدته جريدة «لوفيفارو Le Figaro» الفرنسية سنة 1883¹⁸:

"بيارلوتي: الأنامت* بالكمشة طايحين محصودين في أقل من خمس دقائق بالضبط الخفيفة، والنران الحامية... في عقله باش نصيدهم لما يجوزو.. وبالحق جاوقايتين.. مشمرين مخبيين روسهم وراء طريفات حطب، والادع كلي هذا يرد عليهم الرصاص، ذاك القت المجزرة الكبرى بدأت وكانت حاجة تفرح هناك الحزمات متاع الرصاص المتوجهة لهم بسهولة المتساقطة عليهم مرتين في الدقيقة، عند الإشارة وبصفة منظمة محققة كيف المجانين شفناهم ينووظو حاكمهم مرض الجوي نصف الهايشة المجروحة، كايين اللي رمى روحه في الماء وفي الماء قتلناه، فيهم عوامين ملاح، وغطاسين، لكن عندنا الوقت ونستناو حتى يخرجو يتنفسو ونقتلوهم ثم نلعبو في احصاء الموتى خمسين على اليسار ثمانين على اليامين، أما في القرية كنا نشوفو فيهم جماعات جماعات مكدسة هذه على الأخرى، خلاص ما بقى حد للذبيحة هنا البحرية ضربهم ربح الهبال ونزلو للارض وكل من زال يتنفس او مخبي في غار، والا داير روحه ميت، يكملو عليه بالبايونات مكتفين له راسه بالكروص، كانت هناك جثث مشوهة كثير والذبان يأكل.."¹⁹.

لم يكتفي كاتب ياسين في صياغة أحداث المسرحية بمعاونة الشعب الفيتنامي وثورته فحسب، بل أقحم فيها أحداثا ثانوية لكنها مترابطة زمانيا وتاريخيا مع نسيج الأحداث الرئيسية، فبالإضافة إلى ثورة الفيتنام وشبح الامبريالية وقضية التجنيد الإجباري الفرنسي لسكان شمال إفريقيا، يتناول الكاتب أحداث تفجير القنبلة الذرية في مدينة هيروشيما اليابانية من طرف أمريكا في أوت 1945م، وهنا يبرز الكاتب موقفين: الأول أن طبيعة الحدث التاريخي كان يخدم القضية الفيتنامية كون هذه الأخيرة كانت تحت سيطرة الاحتلال الياباني وبالتالي هزيمة اليابان، والموقف الثاني يصور فيه الكاتب بشاعة الجيش الأمريكي ويضيفه إلى الأحداث السالفة الذكر:

"لأنصدا: مسرور بلقاك

تشانق كاي تشاك: نهنيك على هيروشيما

لأنصدا: ماهي إلا بداية

هذا راه ليك تذكرال هذا الحرب

(.....)

تشانق كاي تشاك: ماذا بي يستثمر

من هزيمة اليابان ..

تعرف اللي اليابان سلم ورفد يديه²⁰.

6. دلالة العنوان والشخصيات

1.6 العنوان «الرجل صاحب النعل المطاط»

جاء اختيار كاتب ياسين لعنوان مسرحيته الوثائقية مرتبطا أساسا بحجم الموضوع التاريخي الذي يعالجه، ودلالة العنوان ظاهرة عبر الربط المحكم بين القضية الأساسية والتي تتمثل في الثورة الفيتنامية والانتصار الذي حققته في 1954م. وبين الشخصية التاريخية التي قادت هذه الثورة وهي شخصية «هوشي منه»، وعملية الربط مبنية على مزايا وصفات القوة والصمود والكفاح والنضال التي يتصف بها هوشي منه. ومن زاوية أخرى البعد الاجتماعي لهذه الشخصية الذي يدل عليه الحذاء المطاطي الذي ترتديه الشخصية.

والرجل صاحب النعل المطاط هو قائد حزب الفيت-منه «هو تشي منه» الزعيم الوطني الفيتنامي الذي يأتي وصفه في النص على لسان الصحافي الذي يواجه الجمهور ويحدثهم عن شخصية «هو تشي منه» المتواضعة:

"الصحافي: (للجمهور)

الرئيس "هوشي منه" عازب، صديقه أمتاع كل يوم هو خدام اجنانوا ولايس ديما كرها في البرتوكول نفس الكسوه أمتاع الكتاب، نفس النعال أمتاع المطاط، احتفظ باليستة أمتاع الحيل، يربح 240 "دونق" في الشهر تقريبا سومة بيسكلات، الوزراء أمتاعه يربحو من 180 حتى إلى 200 "دونق" هذا التواضع درس في الاقتصاد السياسي، بفضلله هو اللي شحال من عمال قدرويكسبو درجاتهم..."²¹.

2.6 دلالة الشخصيات

استعان كاتب ياسين في المسرحية بنماذج من الشخصيات المتنوعة التي تعد في كثير من الأحيان أعلام التاريخ الفيتنامي والفرنسي والأمريكي في فترة الحرب العالمية الثانية، وقد تنوعت مهمة هؤلاء الأعلام بين السياسية والعسكرية والنضالية، والبحث عن دلالتها يستوفي العودة إلى الطرح السيميائي الذي يشتمل على شخصيات مرجعية (personnages référentiels)²² وأبرز هذه

الشخصيات التي ركز عليها كاتب ياسين في النصالوثائقي (هو تشي منه، تشانك كاي تشاك، الجنرال جياب):

أ- شخصيات سياسية وعسكرية

عجت مسرحية "كاتب ياسين" بشخصيات استلهمها من الوثائق التاريخية، حيث استعان بأبطال حقيقيين صنعوا التاريخ الفيتنامي، امتلأت سيرتهم بالكفاح والنضال والثورة من أجل التحرر والانتصار.

هو تشي منه (Hochi Minh) (1890-1969): وهي الشخصية المحورية في المسرحية قدمها كاتب ياسين على حقيقتها التاريخية من حيث أنها نموذج مثالي في الكفاح والنضال ضد الاستعمار الغاشم وقد عبر عنه كاتب ياسين في قوله "إنه الرجل الفيتنامي الحق الذي تتجسد فيه ملامح الجيل الحالي، ويوجد الكثير منه"²³.

لم تأتي تسمية «هو تشي منه» في المسرحية بهذا الاسم وإنما قدمها الكاتب بـ«العم هو» للدلالة على تواضعه ومسامحته "رغم القسوة والعذاب والحرمان الذي عاناه وقاساه داخل السجون فان قلبه يظل مليئاً بالحنان والعطف الدافق بالحياة الطموحة نحو الأشياء الجميلة"²⁴، وتظهر هذه المواقف في المشهد الذي سجن فيه «العم هو» إذ يلتقط وراء القضبان وردة حمراء يشم رائحتها ويحتفظ بها قائلاً:

"هوشي منه : ريحة وردة موردة في حبس يظهر ظلم العالم كله"²⁵

وردت شخصية «هو تشي منه» في موسوعة مشاهير العالم في الجزء الثالث الذي تضمن مشاهير القادة العسكريين والسياسيين أنه "زعيم فيتنامي (العم اللطيف الذي هزم الأمريكيين) مؤسس الدولة الفيتنامية الشمالية، ورائد النهضة القومية في الهند الصينية، ينتهي إلى أسرة فقيرة معدمة. رفاقه كانوا يدعونه «العم هو اللطيف»... واصل هوشي منه نضاله السياسي والعسكري ضد اليابانيين الذين خسروا الحرب العالمية الثانية في 14 أوت 1945. وأعلن في 2 أيلول يوم توقيع اليابان على اتفاقية استسلام الفيتنام اختصارها فیت منه. خاض هوشي منه معارك ضارية لإجبار الفرنسيين على الانسحاب من فيتنام... توفي هوشي منه في أيلول 1969"²⁶.

تشانك كاي تشك (Chiang Kai-Chek) (1887-1975): زعيم ووطني صيني "ولد تشيانج في حي فينجهيو (Fenghue) بمقاطعة تشيكيانج (Chekiang) بالقرب من شنجهاي في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1887. حاد عن تقليدية العائلة في الزراعة والتجارة البسيطة ليلتحق بالجيش. وبعد قضائه مدة وجيزة في الأكاديمية العسكرية الوطنية في بودينج (Baoding)، سافر إلى طوكيو ليلتحق بكلية أركان الجيش"²⁷، وفي المسرحية يمثل نموذج كفاحي قام بالثورة ضد الغزو الياباني بتأييد أمريكي مقابل

الوقوف ضد المد الشيوعي إلى أن استسلمت اليابان في 1945 إثر تفجير القنبلة الذرية في مدينتي هيروشيما ونكازاكي، وبانتهاء الحرب علت مكانة تشيانج بوصفه قائد الصينيين ضد اليابانيين، لتساوى مع مكانة روزفلت وستالين في محاربة قوات المحور"²⁸:

"تشانق كاي تشاك: ما تنساش الي الصين

دولة قوية كبيرة فرنسا ماتنحسبش

وعندنا تأييد أمريكا"²⁹.

الجنرال جياب Général Giap (1912): واسمه الكامل هو «فوجين جياب»، يمثل أحد القادة العسكريين المحنكين في الجيش الفيتنامي، وتدل شخصيته في المسرحية على الحنكة والذكاء في التخطيط العسكري، قاد الثورة مع الزعيم "هو شي منه"، وبخصوص حياته فلم ترد معلومات مفصلة عن مولده، سوى بعض المصادر الموثوقة التي ترجع تاريخ ميلاده إلى سنة 1912 بمحافظة كونج بنه (Quang Binh) الواقعة في منطقة الهند الصينية التابعة لفرنسا آنذاك وتسمى آنام (Annam)...

لجأ جياب إلى الصين التي تعلم فيها أساليب حرب العصابات مع زميله الفيتنامي هوشي منه تحت قيادة الزعيم الصيني ماوتسي تونج، وفي عام 1941 انظم جياب لهوشي منه والوطنيين الذين شكلوا «جبهة فايتمنه» (VietminhFront)، ثم عاد إلى فيتنام عام 1944 ليقاوم الاحتلال الياباني والفرنسي"³⁰ ويحقق الانتصار المنشود:

"جنرال جياب: نجحت الثورة

نقويان أي دوك: اليوم 2 سبتمبر 1945

نعلنو الاستقلال

ونأسسو الجمهورية الديمقراطية للفيتنام"³¹.

بالإضافة إلى هذه الشخصيات التاريخية التي قادت الثورة الفيتنامية إلى معركة "ديان بيان فو" الشهيرة عبر تنظيم محكم أدى لا محال إلى الاستقلال 1945 يكاد هذا الانتصار يشبه معركة الفيل والنمر حيث يسقط الفيل في معركة "ديان بيان فو" من الإعياء، وينتصر الشعب الفيتنامي"³²، هناك شخصيات سياسية أخرى من الجانب الفرنسي وثق بها كاتب ياسين أحداث مسرحيته مثل «لويس الرابع عشر» وقائد البحرية الفرنسية «بيار لوتي» وكذلك شخصيات ثانوية مثل الشرطي، الضابط، الفدائي، السجين.

ب- شخصيات رمزية

يتعدى "كاتب ياسين" حدود التوثيق إلى استعمال الخيال (La Fiction) الذي يتوفر على مستوى بعض الشخصيات الوهمية تتجسد دلالتها من حيث البنية الشكلية لأسمائها، وهذا من أساسيات المسرح الوثائقي الذي يصوغ حقائقه في كثير من المواقف وفق المجال الدرامي والفني وقد فصلنا في الأمر سالفاً، وتظهر بعض "الشخصيات في مسرحية الرجل صاحب النعل المطاط بصورة غير متجانسة لإثارة فضول القارئ، لذلك فأسماء هذه الشخصيات محفزة من حيث أفعالها. ومن جهة أخرى نجد أسماء لشخصيات مشهورة بجانب أسماء مسبوكة من طرف الكاتب في كل مشهد، والسبب من وراء ذلك أن كاتب ياسين يحاول تحفيز حجج الأفعال"³³، وهذا النموذج يشكل في النص الوثائقي من حيث دلالاتها شخصيات إشارية (personnages embrayeurs)³⁴ و أبرز النماذج التي تتوفر عليها المسرحية (الجنرال نبالم، جنرال ماسو، جنرال كون، كولونيل لونصداًل):

جنرال دكوك (Le Général Decoq): مشتق من «الديك» الذي يرمز إلى فرنسا³⁵، التي تسعى دوماً نحو السيطرة والتعالي والنفوذ كما يظهر في مشهد التجنيد الاجباري لسكان الأفارقة:

جنرال دوكوك: اقلعوا لباسكم

(الكورس يطيح تحت تسخير الضابط)

احرقوا حوايجكم

ماشي هنا في الزوبية

(إلى الضابط)

(كتفهم الضابط يكتف الكورس)

المرأة: من فضلك يا جنرال يلزم لي يد حرة

على الولد اللي فوق ظهري

جنرال دوكوك: اربط ثاني هذا الكحليش....³⁶

كولونيل لانصداًل Le Colonel Lancedalle: جاءت من محض الخيال وهي لفظة مركبة من سابقة "لانس" التي تعني قذف واللاحقة "دال" التي تدل على قنبلة، حتى أن الشخصية تدل على التفجير والقنبلة³⁷، ويتضح ذلك في مشهد إلقاء القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما في اليابان حيث يبدأ الكولونيل للاستعداد لهذا الحدث مع قبطان الطائرة التي تحمل القنبلة:

"القبطان ماك: أمين

(يمد ذراعيه كاللي رايج يطير لانصدال يرفد الحجرة امتاع القمر فوق راسه يرجع يشخصو هكذا قاذفة قنابل فوق هيروشيما)

لانصدال: راهي الثمنية وربيع وقت الخدمة

مالك: العلو عشرة آلاف متر

لانصدال: هيروشيما هدف متعين (يرمي حجرة القمر)...³⁸.

ج- شخصيات اجتماعية

وهي تمثل الفئة البسيطة من المجتمع الفيتنامي الذي يعيش على الزراعة وما يحصدونه من محصول الأرز، ودلالاتها في المسرحية تقوم على استحضار الصورة الشعبية للثورة الفيتنامية حينما تلتف حول المعركة بكل قواها وبجميع إمكانياتها ووسائلها، وحتى الشخصيات البطلة في المسرحية مثل "هوشي منه وجياب" وغيرهم" تذوب في شعبيتها بالالتحام والاتحاد، من هنا ينبنى مفهوم البطولة الجماعية التي يكرسها المسرح الوثائقي ومن الأمثلة البارزة التي استعان بها "كاتب ياسين" (الفتاتان «ترنق تراك وترنق نهي»، الفلاح، الأخت 1 و 2، الولد، العامل) بالإضافة إلى شخصيات اجتماعية افريقية منها (محمد، بويلاح، الافريقي 1، 2، 3).

د- شخصيات صحفية وإعلامية

المسرحية لم تخلو من المادة الإعلامية التي تأتي على عدة أشكال وألوان، والأسلوب الوثائقي يقحم كل الوسائل الإعلامية داخل النسيج الدرامي من صحافة وإذاعة وأشرطة مصورة ولقاءات وتصريحات صحفية أو إذاعية، بالرغم من الوظيفة التمهيدية التي يمارسها الإعلام من تغليب للرأي العام وتعتيم للحقائق لتخدير الجماهير عبر عرض النتائج دون الأسباب إلا أن المسرح الوثائقي يسعى إلى تحليل هذه النتائج ومعالجتها.

تنوعت الشخصيات الإعلامية التي وظفها "كاتب ياسين" في مسرحيته لتثمين الأحداث، والكشف عن التوجه السلبي الذي تحويه من خلال تفخيم الأحداث وتغليب الجماهير، وقد توزعت هذه الشخصيات بين (الصحافي، المذيع، الناشر).

من النماذج التي تتضح فيها سياسة وسائل الإعلام -عبر ممارسة التمهيد التي تعكس نظر الفئة المنتفعة- في المسرحية المشهد الذي يظهر فيه الصحافي الأمريكي يساند الجيش الأمريكي على الطرف الفيتنامي الضعيف والمظلوم:

"كورس: صحافي أمريكي!

(الكورس يدور حول الصحافي)

كوريفي: (يوري الطيارين)

واش تخمم في هذا؟

الصحافي: كيف نكونو تحت القنابل

ماذ بينا لو كان يطيحو الطيارات

لكن الطيارين مركان..

كورس: نعم ولاد بلادك

كورفي: توالم حبابك

الصحافي: بصراحة، مانحبش في هذا الساعة

(الكورس يتبعد والصحافي يلتحق بالطيارين)³⁹.

تبرز إلى جانب هذه الشخصيات عناصر مسرحية احتلت مكانا واسعا في المسرحية وتشمل الكورس أو الجوقة (Chœur) والكوريفي (Coryphée) وتعتبر من أساسيات وتقنيات المسرح الوثائقي، وقد لعبت دورا هاما في تصوير معاناة الشعب الفيتنامي من ويلات الاستعمار الغاشم بأنواعه من جهة، كما تجسد من جهة أخرى الموقف الموضوعي والجوهرى للكاتب المبني على قضية عادلة تتمثل في حق الشعوب في الحرية والتحرر وتقرير مصيرها.

الإحالات

¹ عبد القادر القط، 1978، من فنون الأدب - المسرحية-، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب ط ، ص 309.

* وهذا ما عرف عن أعمال كاتب ياسين سواء الروائية أو المسرحية، فبالرغم مما لاقته أعماله من نجاح كبير في فرنسا وبلدان أخرى، فإنها مازالت تسبب الحيرة والضيق للكثير من القراء فكم من شخص قرأ «نجمة» ولم يفهم منها شيئا، كذلك لم تلق مسرحيات كاتب ياسين ما تستحقه من نجاح في ترجماتها العربية، وقد فسر كاتب ياسين ذلك بأن مؤلفاته انتقلت من منفى اللغة الفرنسية إلى «غربة» العربية التي لا يفهما معظم الجزائريين. ينظر: السيد عطيه أبو النجا، 1987، كاتب ياسين و«أعمال في شذرات»، مجلة إبداع، العدد 8، ص 15.

² نور الدين عمرون، 2006، المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000م، ط1، شركة باتنيت، الجزائر، ص 81.

³ . مخلوف بوكروح، 1982، ملامح عن المسرح الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 35.

⁴ السيد عطيه أبو النجا، كاتب ياسين و«أعمال في شذرات»، المرجع السابق، ص 15.

⁵ . أحمد بيوض، 2011، المسرح الجزائري نشأته وتطوره، دار هومة، الجزائر، د ط ، ص 183.

⁶ . Voir : KATEB Yacine, 1970 , L'homme aux sandales de caoutchouc, Edition de Seuil, Paris,.

*. يقصد "بالعم هو" بشخصية "هوشي منه"

- ⁷ .كاتب ياسين، الرجل صاحب النعل المطاط، ترجمة: محمد بن قطاف، منشورات المسرح الوطني الجزائري، ص42(مخطوط)
- ⁸ . ونوس سعد الله ، 1977، الأعمال الكاملة مج3 ، دار الآداب، بيروت ، لبنان ، ص171-172
- ⁹ .الرجل صاحب النعل المطاط، المصدر السابق، ص4.
- ¹⁰ .كاتب ياسين، الرجل صاحب النعل المطاط، المصدر السابق، ص4.
- ¹¹ .الرجل صاحب النعل المطاط، المصدر السابق، ص28.
- ¹² .مخلوف بوكروح، ملامح عن المسرح الجزائري، المرجع السابق، ص38.
- ¹³ .سباعي السيد، 1993، المسرح السياسي الألماني في الستينيات، مجلة المسرح، العدد 54، مايو، ص107
- ¹⁴ . حياة جاسم محمد، أبريل 1983، الدراما التجريبية في مصر 1960-1970 والتأثير الغربي عليها، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، ص207.
- ¹⁵ .سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المصدر السابق، ص174-175.
- ¹⁶ .سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، ص175.
- ¹⁷ . Voir : KATEB Yacine, L'homme aux sandales de caoutchouc (Bibliographie), p285.
- ¹⁸ . Voir : KATEB Yacine, L'homme aux sandales de caoutchouc, p27.
- *. الأنامت يقصد به الفيتناميين ووردت في النص المسرحي المكتوب باللغة الفرنسية بـ"Les Annamites" وهي اللفظة المرادفة لـ"Les Vietnamiens".
- ¹⁹ .كاتب ياسين، الرجل صاحب النعل المطاط، ص13.
- ²⁰ .الرجل صاحب النعل المطاط، المصدر السابق، ص30-31.
- ²¹ .الرجل صاحب النعل المطاط، المصدر السابق، ص144.
- ²² . وليد شموري، فبراير 2015، سيميائية الشخصية في النص الدرامي مسرحية "كل واحد وحكمه" لكاي أنموذجا، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الثاني، العدد 5 ، ص136.
- ²³ .المجاهد الأسبوعي، نوفمبر 1971، العدد 585 ، (عن مخلوف بوكروح، ملامح عن المسرح الجزائري، المرجع السابق، ص38).
- ²⁴ .مخلوف بوكروح، ملامح عن المسرح الجزائري، المرجع السابق، ص38.
- ²⁵ .الرجل صاحب النعل المطاط، ص85.
- ²⁶ .موسوعة مشاهير العالم، الجزء الثالث(مشاهير القادة العسكريين والسياسيين)، مجموعة من المؤلفين، 2002، دار الصداقة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ص133.
- ²⁷ .المصدر نفسه، ص541.
- ²⁸ .موسوعة مشاهير العالم، المصدر السابق، ص543.
- ²⁹ .الرجل صاحب النعل المطاط، المصدر السابق، ص32.
- ³⁰ .ينظر: موسوعة مشاهير العالم، المصدر السابق، ص347-348.
- ³¹ .الرجل صاحب النعل المطاط، المصدر السابق، ص33-34.
- ³² .مخلوف بوكروح، ملامح عن المسرح الجزائري، ص39.

³³.Sabiha BOUKHELOUF, 1997, Les instances enoncantes dans l'œuvre écrite de Kateb Yacine, Thèse de doctorat nouveau régime, sous la direction de : Jean-Claude COQUET, univ Paris VIII-Vincennes a Saint Denis, p481.

³⁴. ينظر: وليد شموري، سيميائية الشخصية في النص الدرامي مسرحية "كل واحد وحكمه" لكاي أنموذجا، المرجع السابق، ص136.

³⁵.voir :Sabiha BOUKHELOUF, Les instances enoncantes dans l'œuvre écrite de Kateb Yacine, p 581.

³⁶.الرجل صاحب النعل المطاط، ص.15.

³⁷.Voir : Ibid Op cite.

³⁸.الرجل صاحب النعل المطاط، ص.29.

³⁹.الرجل صاحب النعل المطاط، المصدر السابق، ص150-151.